

روح المعاني

كما في قوله سبحانه : قل إن كان للرحمن ولد وقوله تعالى : فإن استطعت أن تبغني نفقا في الأرض وصدق الشريعة لا يتوقف على وقوعها كما هو ظاهر والمراد بالموصول القصص أي إن كنت في شك من القصص المنزلة إليك التي من جملتها قصة فرعون وقومه وأخبار بني إسرائيل فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك فإن ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما أنزلناه إليك وخصت القصص بالذكر لأن الأحكام المنزلة إليه E ناسخة لأحكامهم مخالفة لها فلا يتصور سؤالهم عنها والمراد بالكتاب جنسه فيشمل التوراة والإنجيل وهو المروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ويؤيده أنه قرئ الكتب بالجمع وفسر الموصول بمن لم يؤمن من أهل الكتاب لأن أخبارهم بما يوافق ما أنزل المترتب على السؤال أجدى في المقصود وفسره بعضهم بالمؤمنين منهم كعبد الله بن سلام وتميم الداري ونسب ذلك إلى ابن عباس والضحاك ومجاهد . وتعقب بأن ابن سلام وغيره إنما أسلموا بالمدينة وهذه السورة مكية وينبغي أن يكون المراد الاستدلال على حقية المنزل والإستشهاد بما في الكتب المتقدمة على ما ذكر وأن القرآن مصدق لها ومحصل ذلك أن الفائدة دفع الشك إن طرأ لأحد غيره صلى الله عليه وسلم بالبرهان أو وصف أهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة نبوته A وتويخهم على ترك الإيمان أو تهيج الرسول E وزيادة تثبيته وليس الغرض إمكان وقوع الشك له صلى الله عليه وسلم أصلا ولذلك قال E حين جاءته الآية على ما أخرج عبدالرزاق وابن جرير عن قتادة : لأشك ولا أسأل .

وزعم الزجاج أن نافية وقوله سبحانه : فاسأل جواب الشرط مقدر أي ما كنت في شك مما أنزلنا إليك فإن أردت أن تزداد يقينا فاسأل وهو خلاف الظاهر وفيما ذكر غني عنه ومثله ما قيل : إن الشك بمعنى الضيق والشدة بما يعاينه A من تعنت قومه وأذاهم أي إن ضقت ذرعا بما تلقى من أذى قومك وتعنتهم فاسأل أهل الكتاب كيف صبر الأنبياء عليهم السلام على أذى قومهم وتعنتهم فأصبر كذلك بل هو أبعد جدا من ذلك وقيل : الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته أو لكل من يسمع أي إن كنت أيها السامع في شك مما أنزلنا على لسان نبينا إليك فاسأل فأنزلنا إليك على هذا نظير قوله سبحانه : وأنزلنا اليكم نورا مبينا وفي جعل القراءة صلة الموصول إشارة إلى أن الجواب لا يتوقف على أكثر منها وفي الآية تنبيه على أن من خالجه شبهة في الدين ينبغي له مراجعة من يزيلها من أهل العلم بل المسارعة إلى ذلك حسبما تدل عليه الفاء الجزائية بناء على أنها تفيد التعقيب لقد جاءك الحق الواضح الذي لا محيد عنه ولا ريب في حقيقته من ربك القائم بما يصلح شأنك فلا تكونن من

الممترين 94 أي بالتزلزل عما أنت عليه من الحزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل والإمتراء الشك والتردد وهو أخف من التكذيب فلذا ذكر أولا وعقب بقوله سبحانه : ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله أي بشيء منها فتكون بذلك من الخسرين 95 أنفسا وأعمالا والتعبير بالخاسرين أظهر في التحذير من التعبير بالكافرين وفائدة النهي في الموضوعين التهيج والإلهاب نظير ما مر والمراد بذلك إعلام أن الإمتراء والتكذيب قد بلغا في القبح والمحدورية إلى حيث ينبغي أن ينهى عنهما من لا يمكن أن يتصف بهما فكيف بمن يمكن إتصافه وفيه قطع لأطماع الكفرة